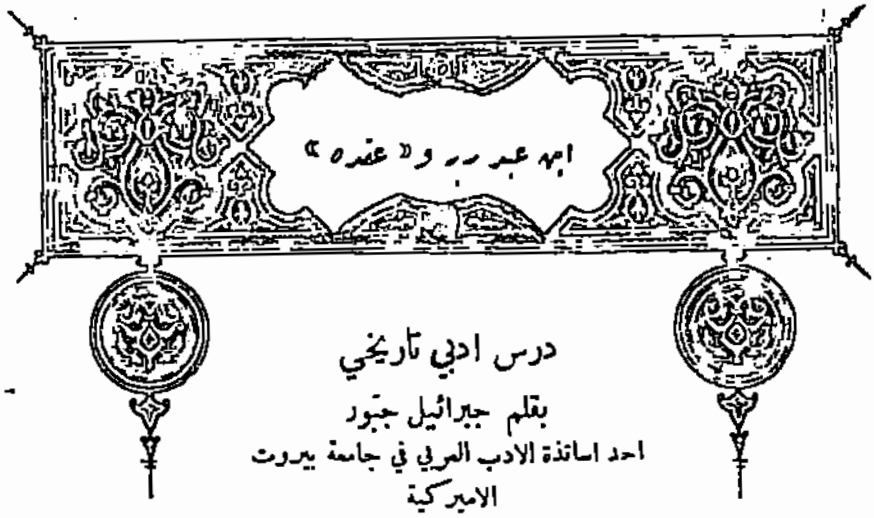

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبّور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

o

قيمة العقد التاريخية

يعدّ العقد مصدرًا من المصادر الاولية المهمّة التي يرجع اليها الباحثون في تاريخ العرب السياسي والاجتماعي والادبي . وقد امتاز عن كثير من الكتب القديمة بتبويبه وحسن ترتيبه واختياره ، كما وانه يذكر لنا بعض روايات الاقدمين كالاصمعي ، وابي عبيدة ، والعتبي ، والشيباني ، وغيرهم ، ممّن لم يترك لنا الزمن من آثارهم التاريخية والادبية شيئاً كثيرًا مجموعاً في كتب مستقلة . ولذلك فذكر العقد لرواياتهم يفيد من يودّ الرجوع اليها ، او من يرغب في مقابلة بعضها في المصادر المختلفة مع ما هي عليه في العقد .

ويذكر العقد اخبارًا كثيرة عن رجال الاسلام الأول من خلفاء وامراء وقوّاد في عصر الراشدين والامويّين ، وعن ايام العرب الاولى واختلاف امرهم في العصر الاموي ، لا بدّ للباحث في تاريخهم من الوقوف عليها . كما وانه يذكر في بعض كتب العقد كثيرًا من الفوائد التاريخية ممّا يتعلق بالسياسة والاقتصاد والاجتماع والادب وغيرها . واذا قرأت خبر وفود عبدالله بن جعفر مثلًا على عبد الملك بن مروان[1] رأيت في هذا الخبر فوائد عن حالة القوم الاقتصادية والاجتماعية ، وفهمت شيئاً من تلك العلاقات بين بني امية في الشام من ناحية

---

١) ابن عبد ربه ١ : ١٤٦

وبين بعض هذا النفر الارستقراطي في الحجاز من ناحية اخرى. كذلك نرى في كتاب السلطان مثلًا اخبارًا ذات شأن عن سياسة عمر ، كما فهمها اهل ذلك العصر ، ومحاسبته للعمّال ، وعن حياة الامراء ، وبلاط الخلفاء ؛ وعن نزعة اهل ذلك الجيل الجديد ، الذي تلا عصر الصحابة الاول ، الى البذخ والترف وميلهم الى اقتناء المال وامتلاك المزارع وبناء القصور الجديدة واتباعهم سبل المرح واللهو . فنقرأ مثلًا « كتب عمر الى احد عمّاله : وقد بلغ امير المؤمنين انه فشت لك ولاهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها . »[1] او مثلًا : « قال ابو هريرة لمروان: اقتطل عند ابنة فلان تروّحك بالمراوح وتسقيك الماء البارد وابناء المهاجرين والانصار يصهرون من الحرّ »[2] . وكذلك قل عن كتاب الحروب ففيه بعض الفوائد عن تاريخ العرب السياسي ، وفيه نتف من اخبار الخوارج[3] . وقد ذكر في كتاب النسب اخبارًا دقيقة لها علاقة في بعض الامور التاريخية كأن يورد مثلًا في كلامه عن قريش تسمية من انتهى اليه الشرف من قريش في الجاهلية فوصله بالاسلام ، ويشرح المكارم التي كانت لهم في الجاهلية من سقاية ، ورفادة ، وسدانة ، وحجابة ، الخ[4] . . وذكر في كتاب آخر من العقد اسماء من كتب للنبيّ ، ولبعض الخلفاء والامراء من بعده[5] . ويروي في بعض الاحيان اخبارًا لما اهميتها لمن يريد التخصص في درس بعض الشخصيات الاسلامية . فقد ذكر مثلًا عن عثمان بن عفّان انه كان يعتني في ثيابه ويتنظف ؛ وانه كان ، وهم يبنون المسجد بالمدينة زمن النبي ، يحمل اللبنة ويجافيها عنه بحيث لا تمسّ ثيابه فاذا وضعها نفض كفّيه ونظر الى ثوبه فاذا اصابه شيء من التراب نفضه عنه . فنظر اليه علي وانشد :

لا يستوي من يسر الساعدا يداب فيها راكعًا وساجدا
وقائمًا طورًا ، وطورًا قاعدا ومن يُرى عن التراب حائدا .[6]

وكتب عن الحجاج فصلًا في نحو ٢٠ صفحة في اليتيمة الثانية[7] عدا عمّا نثره

(١) ابن عبد ربه ١ : ٢٤
(٢) ابن عبد ربه ١ : ٨٠
(٣) » » » ٢ : ٢٠٧
(٤) » » » ٣ : ٦-٢٦
(٥) ابن عبد ربه ١ : ٢٢
(٦) » » » ٣ : ٤٥-٤٦
(٧) » » » ٣ : ٢٨١

عنه في اكثر كتب العقد.

كذلك نرى في العقد كثيرًا من الفوائد عن حالة العرب الاجتماعية من ساعهم للغناء وبجالسهم حوله، وطرق معيشتهم، ولباسهم وطعامهم وشرابهم، ورأيهم في الخمر والنبيذ، وذكر الشاربين ومن حُدّ منهم، ونظر الائمة لبعض ضروب هذا اللهو الذي فشا بعد احتكاكهم بالامم الاخرى، وتساهل البعض في امره وشدة البعض الآخر، واختلاف الاقطار بالنسبة إلى آرائهم إطلاقا واقتصاراً في الغناء والشراب مثلًا، وما الى هذه الامور.

وللعقد قيمة تاريخية من حيث الرجوع اليه عند نشر بعض الكتب التي اخذ عنها صاحبه، او التي اخذت عن رواة استند اليهم ابن عبد ربه ايضاً. وقد الحقت لجنة دار الكتب في القاهرة عند نشرها كتاب «عيون الاخبار» زيادات كثيرة في متنه نقلتها عن العقد وصححت كثيرًا من الاغلاط التي عثرت عليها في النسخ الخطية من «عيون الاخبار» عند مقابلتها بالعقد.

ويجب ان لا ننسى ان العقد من المصادر القديمة، فصاحبه قريب عهد بكثير من الامور التي وقعت وذكرها في كتابه. كما وان في العقد كتاباً كبيرًا قصره لتاريخ الخلفاء يمتاز عن كثير من كتب التاريخ القديمة من حيث الاختيار والاختصار اللذان قصد اليهما مؤلفه. فقد حشد في نحو ١٣٣ صفحة فوائد كثيرة عن الخلفاء في الشرق والاندلس حتى زمنه، كتبت باسلوب سهل واضح جذاب، وروعي فيها الترتيب والتبويب. وقد لاحظنا اتفاق بعض النصوص في هذا الكتاب مع النصوص التي اوردها الطبري بتاريخه بالحرف تقريباً. ورغم ان الذين عُنوا من المستشرقين بنشر تاريخ الطبري قد رجعوا الى العقد، فانا قد وقعنا على اغلاط في مواضع بتاريخ الطبري كان من اليسير تجنبها لو التفت الى رواية العقد. ففي الجملة التالية (ص ١٨٧٠): «لم يتم لابرهيم امره وكان يسلم عليه جمعةً بالخلافة وجمعةً بالامرة وجمعةً لا يسلمون عليه لا بالخلافة ولا بالامرة» وفي العقد (٣:٢٧٠) «فلم يتم له (اي لابرهيم بن الوليد) الإمر وكان يدخل عليه قوم فيسلمون بالخلافة وقوم يسلمون بالامرة وقوم لا يسلمون بخلافة ولا بامرة وجماعةٌ تابع وجماعة يأبون ان يبايعوا.» وظاهرٌ ان الناشرين قد

قرأوا « جماعةٌ » « جمعةٌ » . فلينتبه الى هذا !

وربما من الخير ان نذكر هنا رأي الاستاذ جرجي زيدان من حيث قيمة العقد التاريخية . قال في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » :

« ان في بعض ابوابه فصولاً لا تجد مثلها في كتب التاريخ فاخبار زياد والحجاج والطالبين فيها حقائق يعزّ العثور عليها في كتاب آخر . وناهيك بايام العرب واعاريض الشعر وما هناك من اخبار الخوارج والازارقة فضلاً عن كثير من الاقوال المأثورة عن عظماء الملوك نقلاً عن كتب ضاعت اصولها »[1]

ولا يفوتنا هنا ذكر اهمية العقد التاريخية من حيث انه يحتوي على بعض الاخبار التاريخية عن الاندلس ، لاسيما في ارجوزة صاحبه الكبيرة . ومن حيث انه صادر عن عربي اندلسي يبحث في تاريخ العرب في عصورهم الاولى من جاهليتهم الى عصرهم العباسيّ الذهبي . وقد كان صاحبه بعيداً الى حدّ ما عن تأثير اصحاب الامر والسلطة على المؤلفين والادباء في المشرق . وقد ساعده بعده عن مواطن العرب الرئيسية واحزابهم المختلفة ، وجوّه الاندلسي على شيء من الحرية الفكرية التي حرمها كثيرون غيره . غير انه رغم هذه الامور لم يستطع ان يتجرّد من بعض النزعات والميول ، ولم يتجنب كثيراً من الاغلاط التي ارتكبها غيره . ونرى من الخير ان نبحث هنا في بعض نزعات ابن عبد ربه الخاصة من شخصية وغيرها ، وميوله ، والمؤثرات المختلفة التي يمكن ان تكون قد اثرت عليه والظروف التي احاطت به ، بحيث نعلم شيئاً من قيمة هذه الاخبار التي نراها في العقد ونكون قد انصفنا الرجل وكتابه .

ضعفه كمؤرخ

والظاهرة الاولى التي تبدو في العقد هي ضعف صاحبه كمؤرخ . تلمس هذا الضعف من نواحٍ متعددة منها ان ابن عبد ربه يرى ان لا اهمية للاسناد في الاخبار ، ويدوّن مبدأه هذا بصراحة في مقدمة كتابه حيث يقول : « وحذفت الاسانيد من اكثر الاخبار طلباً للاستخفاف والايجاز وهرباً من التثقيل والتطويل

---

١) زيدان ٢ : ١٧٤

لانها اخبار ممتعة وحكم ونوادر لا ينفعها الاسناد باتصاله ولا يضرّها ما حذف منها.»[1] ويقول: «سئل حفص بن غياث الاعمش عن اسناد حديث فاخذ بحلقه واسنده الى الحائط وقال: «هذا اسناده». وحدّث ابن السمّاك بحديث فقيل له ما اسناده؟ قال: «هو من المرسلات عرفا» وحدّث الحسن البصري بحديث فقيل له: «يا ابا سعيد عمن؟» قال: «وما تصنع بعمّن يا ابن اخي؟»[2] وترى انه يتساهل في اسناد الاخبار حتى في الحديث، وهو يخالف ابا الفرج الاصبهاني من هذه الناحية، فان الاغاني من الكتب المسندة (المعنعنة). وقد اخذ ابن عبد ربه كثيراً من الاخبار — كما رأينا في الفصول السابقة — عن مصادر اهمل ذكرها. وتقع في بعض الاحيان على باب في اخبار عليّ ومعاوية مثلاً ترى فيه فوائد كثيرة، ولكن لا تعلم من اين استقى ابن عبد ربه هذه الفوائد.

وترى من ناحية ثانية ان له رأياً في الاختصار والاختيار ذكره في مقدمة كتابه. ومن الخير ان يلتفت اليها قال: «وقد الفت هذا الكتاب وتخيّرت جواهره من متخير جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان فكان جوهر الجوهر ولبّ اللباب وانما لي فيه تأليف الاختيار وحسن الاختصار... واختيار الكلام اصعب من تاليفه وقد قالوا اختيار الرجل وافد عقله.»[3] فهو يقول بصراحة انه عمد الى بعض الاخبار فاختصرها او اختار منها ما يلائم كتابه او ذوقه زاعماً انه يختار الاحسن، فله اذن الفضل الاكبر.

ويظهر من ناحية اخرى انه لا يمحص الاخبار بل تراه ينقل الكثير منها على علّاته، دون ان يسبرها بمعيار العقل والمنطق. وهو يشترك بهذا مع كثير من مؤرخي العرب المتقدمين، فيذكر مثلاً اخباراً عن المعمّرين منها ان احدهم عاش ٣٠٠ سنة ووفد آخرَ عمره على معاوية[4]. ومنها ان احدهم عاش ١٩٠ سنة فاسودّ شعره ونبتت اضراسه وعاد شاباً ويقول: «ولا يعرف في العرب اعجوبة مثله»[5]. ومنها: «ومن بطون غطفان نصر بن دهمان كان من المعمرين وعاش مئتي

١) ابن عبد ربه ١: ٢
٢) ابن عبد ربه ١: ٢
٣) ابن عبد ربه ١: ٢
٤) » » ١: ٢٣٣
٥) » » ١: ٢٣٣

سنة.»[1] والغريب انه يعود فيذكر انه مكتوب في الزبور من بلغ السبعين اشتكى من غير علة[2].

ويذكر اقوالاً من هذا القبيل منها مثلاً «من قال على طعامه: «بسم الله خير الاسماء، في الارض وفي السماء، ولا يضرّ مع اسمه داء، اللهم اجعل فيه الدواء والشفاء.»، لم يضره ذلك الطعام كائناً ما كان.»[3] او يذكر قصة عن ابي جعفر المنصور وتوعده جعفر بن محمد بالقتل وكيف ان الاخير نجا لانه قبل دخوله على ابي جعفر تلا دعاء هو: «اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بكنفك الذي لا يرام، ولا اهلك وانت رجائي فكم من نعمة انعمتها عليّ قلّ عندها شكري فلم تحرمني وكم من بلية ابتليتني بها قل عندها صبري فلم تخذلني. اللهم بك ادرأ في نحره واعوذ بجبروتك من شره.»[4]

او يقول مثلاً: «ومن همدان شريك بن حياشة الذي دخل الجنة في الدنيا ايام عمر بن الخطاب.»[5] او: «انتهب عسكر الحسين فوجد فيه طيب لم تتطيب به امرأة الا برصت»[6]. ويذكر مثلاً في باب طبائع الانسان اموراً نقلها عن غيره هي ابعد الاشياء عن طبائع الانسان لو يعقلون. منها ان امرأة حملت فاقامت خمس سنين ثم ولدت. وحملت مرة اخرى فاقامت ثلاث سنين ثم ولدت. ويردفها بروايات اخرى عن رجال يسميهم ولد بعضهم لسنتين من حمله[7].

ويذكر في باب الحيوان اخباراً كلها اوهام منها «ان هشاماً بن محمد حدث ان ابن الكلبي حدث ان اسماء نساء بني نوح (صلعم) اذا كنّ في زوايا بيت البرج (برج الحمام) سلمت الفراخ وبقت وسلمت من الآفات. قال هشام: فجربته انا وغيري فوجدناه كما قال»[8]

ويتكلم في نسب لخم فيقول: «ومنهم مالك بن ذعر... بن لخم يقال

---

١) ابن عبد ربه ٢: ٦٢
٢) ابن عبد ربه ١: ٢٢٤
٣) ابن عبد ربه ١: ٢٩٧
٤) ابن عبد ربه ١: ٢٩٧
٥) » » ٢: ٦٢
٦) » » ٢: ٢٠٩
٧) » » ٣: ٢٥٢
٨) » » ٣: ٢٥٥

انه الذي استخرج يوسف بن يعقوب صلوات الله وسلامه عليه من الجبّ.» [1]

ويذكر امورًا غريبة مثل « بعث ملك الهند الى عمر بن عبد العزيز كتابًا فيه من ملك الاملاك الذي هو ابن الف ملك والذي تحته ابنة الف ملك والذي في مربطه الف فيل والذي له نهران ينبتان العود والالوة والجوز والكافور الذي يوجد ريحه على مسيرة اثني عشر ميلًا الى ملك العرب الذي لا يشرك بالله شيئًا اما بعد فاني قد بعثت اليك بهدية وما هي بهدية ولكنها تحية قد احببت ان تبعث اليّ رجلًا يعلمني ويفهمني الاسلام والسلام.» [2] ومثل « قال ايوب بن سليمان : حدثنا ابان بن عيسى عن ابيه عن ابن القاسم قال: بينا سليمان بن داود ، عليهما السلام ، تحمله الريح اذ مرّ بنسر واقع على قصر فقال له : كم اتى مذ وقعت ههنا ؟ قال: ٧٠٠ سنة قال : فمن بنى هذا القصر؟ قال : لا ادري هكذا وجدته . ثم نظر فاذا فيه كتاب منقور بابيات من شعر وهي :

خرجنا من قرى اصطخر الى القصر فقاناه
فمن يسأل عن القصر فبيتًا وجدناه
فلا تصحب اخا السوء وايّاك وايّاه
فكم من جاهل اردى حكيمًا حين آخاه
يقاس المرء بالمرء اذا ما المرء ماشاه
وفي الناس من الناس مقاييسٌ واشباه
وفي العين غنى للبـ ـبن ان تنطق افواه » [3]

والغريب — ولا بدّ لنا انصافًا لابن عبد ربه من ذكره — انه في بعض الاحيان يقع على خبر غير معقول فينفي رقوعه ، قال: «ومات حنظلة بمدينة الرها فقالت فيه امرأة ، وحكي انه من قول الجن ، وهذا محال

يا عجب الدهر على محبوبة تبكي على ذي شيبة شاحب » [4]

ونرى ابن عبد ربه ايضًا لا يختلف كثيرًا عن بعض مؤرخي العرب القدماء ، عند نقلهم الاخبار التاريخية ، في عدم تقديرهم الاسباب الحقيقية في كثير من

١) ابن عبد ربه ٣ : ٨٤ ٢) ابن عبد ربه ١ : ١٩٧
٣) » » ١ : ٢٢٥ ٤) » » ٢ : ٢٠٥

الحوادث المختلفة . من ذلك انه نقل ان سبب العداء بين قبيلتي بكر وتميم هو اجتماع تميم بن مرة وبكر بن وائل عند ملك من ملوك العرب ، ووقوع منازعة بينهما ومفاخرة انتهت بطلبهما من الملك سيفين يتجالدان بهما . فامر الملك فنُحت لهما سيفان من عود فجعلا يضطربان ملياً من النهار . فقال بكر بن وائل :

لو كان سيفانا حديداً قضا

فقال تميم بن مرة :

او نحتا من جندل تصدعا

وحال الملك بينهما فقال تميم لبكر :

اساجلك العداوة ما بقينا

فقال له بكر :

وان متنا نورثها البنين

ويقول ابن عبد ربه : « فيقال ان عداوة بكر وتميم من اجل ذلك الى اليوم . »[1]

وهو قليل التدقيق في كثير من الامور التي يذكرها بحيث يورد في بعض الاحيان اخباراً في موضع ، ثم يوردها بوضع آخر بصورة تناقضها تماماً دون اشارة الى انه قد لاحظ هذا التناقض . وقد ذكر في موضع ان معاوية مات وولده يزيد عنده[2] . وعاد فذكر في موضع آخر ان يزيد كان غائباً حين مات والده[3] . ويذكر ان عروة بن اذينة وفد على عبد الملك بن مروان وجرت له معه قصة مشهورة[4] . والمعروف في هذه القصة انها جرت عند وفود عروة المذكور على هشام بن عبد الملك ، لا على عبد الملك ، كما ذكر ابن عبد ربه نفسه في موضع آخر[5] : كذلك يذكر عن يزيد بن الوليد بن عبد الملك انه سمي بالناقص

---

١) ابن عبد ربه ١٨ : ٢٣٠ ٢) ابن عبد ربه ٣ : ٤

٣) » » ٣ : ٤٢ ، وراجع ايضاً ٣ : ١٧٣

٤) » » ١ : ٢٨٧

٥) » » ٣ : ١٢٦ ؛ راجع الاغاني لابي الفرج الاصبهاني ج٢١ : ١٦٤ ، طبعة ليدن سنة ١٣٠٥ هـ .

لفرط كماله[١] . ويهمل ما هو مشهور من انه سني بالناقص لانقاصه الاعطيات. وذكر ان مدة ولايته شهر[٢] ، وفاته الالتفات الى ما نقله عن بعض الرواة في الكتاب نفسه ان ولايته كانت خمسة اشهر واثني عشر يوماً[٣] . وذكر في موضع[٤] ابياتاً من الشعر وقال ان تمامها وقعت في الكتاب الذي افرده للمراثي؛ غير انه في كتاب المراثي لا يذكر الا الابيات نفسها دون زيادة[٥].

غايته الادبية

وظاهرة اخرى تبدو في العقد وهي ان غاية صاحبه ادبية قبل كل شيء . ولعلّ غايته هذه قد دفعت به الى اهمال الاسناد، وحببت له الاختصار والاختيار عند ذكره بعض الاخبار . وهذه الغاية مسؤولة فيما نرى عن كثير من نقط الضعف التاريخي في ذكر الاخبار التي نراها في العقد. قال : « وحذفت الاسانيد من اكثر الاخبار طلباً للاستخفاف والايجاز وهرباً من الثقيل والتطويل لانها اخبار ممتعة وحكم ونوادر لا ينفعها الاسناد باتصاله ولا يضرها ما حذف منها»[٦] وقال ايضاً : « وتطلبت نظائر الكلام واشكال المعاني وجواهر الحكم وضروب الادب ونوادر الامثال ثم قرنت كل جنس منها الى جنسه فجعلته باباً على حدته . . . وقصدت من جملة الاخبار وفنون الآثار الى اشرفها جوهراً واظهرها رونقاً والطفها معنى واجزلها لفظاً واحسنها ديباجة واكثرها طلاوة وحلاوة . »[٧]

ويرى القارئ ان ابن عبد ربه يقول بصراحة تامة ان غايته ادبية ، وانه يلتفت الى اشرف الاخبار ، واظهرها رونقاً ، والطفها معنى ، واجزلها لفظاً بنظره. واذاً فكل الاخبار التاريخية التي لا تقع تحت هذا الجدول من العبارات مهملة في نظره لا يُعنى بها . زد الى ذلك مبدأه في حذف الاسناد والاختصار.

---

١) ابن عبد ربه ١ : ٣٠٠
٢) ابن عبد ربه ٢ : ٢٢٧
٣) » » ٢ : ٢٤٧
٤) » » ١ : ٢٣٥
٥) » » ٢ : ٨
٦) ابن عبد ربه ١ : ٢
٧) ابن عبد ربه ١ : ٣

وقد ذكر مرة في عقده توسّطه لدى بعض موالي السلطان بتخليص سجين ، فاهمل ذكر اسم المولى ، واسم السجين ، وسبب سجنه ، والبلدة التي سُجن فيها ، ولم يدوّن الّا الشعر الذي نظمه بعد ان اخفق في مسعاه[١] .

اعتداله

وهناك ناحية خاصة من نواحي عقلية ابن عبد ربه هي اعتداله في اكثر الابحاث التي طرق ابوابها في العقد ، واتباعه سبلًا خاصة شقّها لنفسه بين مذهبين متطرّفين بحيث لا يتقيد بمذهب طرف واحد . ولعلّ شيئاً من هذا قد اخذه عن استاذه بقي بن مخلد الذي ذكرنا انه قيل عنه « كان متخيراً لا يقلد احداً .»[٢] فتراه اذا بحث في الدين مثلًا — وهو الفقيه — انكر عليك المروق منه وانكر الغلوّ فيه ، واتاك بحديث نبويّ : « ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضاً قطع ولا ظهراً ابقى »[٣] ، او نقل اليك كلام علي : « خير هذه الامة النمط الاوسط يرجع اليهم التالي ويلحق بهم التالي »[٤] . فهو يرى الدين بين الافراط والتقصير — خير الامور اوسطها — واذا قرأت ما دوّنه في باب الغلوّ في الدين[٥] ترى هذه الطريق التي يسلكها جدّ واضحة . واذا بحث في امر السماع والشراب ابدى لك تساهلًا ندر ان يبديه فقيه ، واتاك باخبار عن القدماء واحاديث يذهب فيها الى تأييد وجهة نظره . وقد ذكرنا بعضها فيما سبق من هذا البحث[٦] .

كذلك نرى اعتداله وتساهله عند بحثه في انشاد الشعر الغزلي في المسجد ، وكيف يأتينا بكثير من الشواهد على عدم انكار النبي والصحابة الاول له[٧] .

ويذكر شعر عروة بن اذينة ، وهو من فقهاء المدينة وعبّادها ، وتشبيبه ، وقد وقفت عليه امرأة ، فقالت له : انت الذي يقال فيه الرجل الصالح وانت القائل :

---

١) ابن عبد ربه ١ : ١٠٧
٢) المقرّي ١ : ٥٩٠
٣) ابن عبد ربه ١ : ٢٥٠
٤) ابن عبد ربه ١ : ٢٥٠
٥) ابن عبد ربه ١ : ٢٤١–٢٥٢
٦) راجع ايضاً ابن عبد ربه ٣ : ٢٢١–٢٢٢
٧) ابن عبد ربه ٣ : ١٢٥ و١٢٦

اذا وجدت اوار الحب في كبدي عدوت نحو سقاء الماء ابترد
هبني ابترد بيرد الماء ظاهره ، فمن لنار على الاحشاء تتقد ؟

والله ما قال هذا رجل صالح .»[1] يذكر هذا الشعر وقول المرأة فينكر عليها تطرفها في الامر واستنتاجها انه مراء ، ويرد عليها قائلاً : « كذبت عدوة الله ، عليها لعنة الله . بل لم يكن مرائياً ولكنه كان مصدوراً فنفث . »[2] واعلّ ابن عبد ربه هنا كان يجهل ان المرأة هذه ، فيما تنصّ بعض المصادر ، هي سكينة بنت الحسين[3].

ونلمس هذه الناحية من عقليته في كثير من المواضيع التي نثرت في العقد والتي ابدى فيها آراءه ملازماً خطة وسطى بين سبيلين متطرفين. وقد اشار الى حبه هذا التوسط في باب جامع الآداب من كتاب الياقوتة في العلم والادب قال : « وقد ادب الله نبيّه باحسن الآداب كلها فقال له : وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ولا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً [4] ، فنهاه عن التقتير كما نهاه عن التبذير وامره بتوسط الحالتين كما قال عزّ وجلّ : وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ولم يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً »[5].

ومع اننا نشتم من عقده شيئاً من النزعة الشيعية عنده ، فاننا نراها شيعية معتدلة بين الشيعية المتطرفة وبين اخصام علي . وهو على كل حال لا يطعن الا بالمتطرفين حتى انه في انكاره على بعض الشيعة تطرفها يلعن السبأية والمنصورية من الرافضة قال : « فاما الرافضة فلها غلوّ شديد في علي ذهب بعضهم مذهب النصارى في المسيح وهي السبأية اصحاب عبدالله بن سبا عليهم لعنة الله . . . وقد احرقهم علي رضي الله عنه بالنار .»[6]

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ١٢٦ ٢) ابن عبد ربه ٣ : ١٢٦

٣) الاغاني لابي الفرج الاصبهاني ج ٢١ : ١٦٧ ، طبعة ليدن سنة ١٣٠٥ هـ — ومواسم الادب وآثار العجم والعرب للطوي ج ٢ : ٨٣ مصر سنة ١٣٢٦ هـ — ومصارع العشاق لابن احمد السراج ، طبعة القسطنطينية ، سنة ١٣٠١ ج ١٨ : ٢١٢

٤) سورة الاسرى (١٧) الآية ٢١

٥) ابن عبد ربه ١ : ٢٧٠ ؛ وانظر سورة الفرقان (٢٥) الآية ٦٧

٦) ابن عبد ربه ١ : ٢٦٧ (للبحث صلة)